جان بول سارتر ومواقفه الفلسفية

الخيال وموضوعاته

نشر سارتر فى أبريل عام ١٩٤٠ أى بعد خمس سنوات من ظهور كتاب « الخيال » بحثاً جديداً سماه « الخيالى[1] » . ويلاحظ مطالع هـذا الكتاب اختلافا واضحاً بينه وبين الكتاب السابق مع أنه جاء مكملا له : الأول يثير مشكلة والثانى يحلها . والاختلاف ظاهر لا فى الأسلوب وحده بل فى طريقة العرض أيضاً : فى الأسلوب ، إذ بينما كان سارتر يعبر فى «الخيال» كغيره من الفلاسفة تعبيراً فيـه دقة عقلية وجفاف منطقى ، نجد اسلوبه فى « الخيالى » اقل دقة من الناحية المنطقية وأكثر تكلفاً من الناحية الفنية ، يعمد إلى التشبيهات الجميلة وإلى ألوان مختلفة من الجناس والاطناب . ثم فى طريقة العرض : فى نوع الأمثلة التى يختارها ونوع الحجج التى يدلى بها سواء لدعم موقفه أو لزعزعة مواقف الآخرين ، وفى نوع الكتب التى ينتقدها أو يثنى عليها : فبينما كان « الخيال » يظهر إلماما دقيقاً بالمواقف الفلسفية الرئيسية قديمة أو حديثة إذا بالكتاب الجديد يهمل تاريخ الفلسفة إهمالا تاما . وبينما كان سارتر فى « الخيال » يسوق القارئ إلى نتائج نقده سياقة عقلية منظمة ، نجده فى « الخيالى » يصل بالقارئ إلى نتائج لا يعده لها إعداداً كافيا .

اتضح لسارتر ولغيره من الفلاسفة المعاصرين أن ثمة ميدانا جديداً للبحث اكتشفته المدرسة الألمانية المعاصرة التى يتزعمها هوسرل : عمل ممثلو هذه المدرسة ، بعد تخطيط عام لموضوع الفلسفة ومنهجها ، على الدخول فى تفاصيل دقيقة طريفة أهمها ما يتعلق بفعل الإدراك الحسى ومشكلاته المختلفة . ولا شك

(١) *L'Imaginaire* (N.R.F., 1940).

أن هذه الدراسة كانت خير ما يعد البحث فى الخيال ، سواء لتقارب مشكلاته من مشكلات الإدراك الحسى أو لما يبدو من التعارض الصريح القائم بين موضوعيهما . ولكن بالرغم من إشارات قيمة وردت بهذا الصدد عند هوسرل مؤسس « الفنومنولجيا » ، يلاحظ سارتر أننا لا نجد عنده بحثاً مستفيضاً فى مسألة الخيال ، يمكن موازنته بالدراسة التى قام بها للادراك الحسى ، والتى جعلته جديراً عند المحدثين باسم فيلسوف الادراك الحسى ، بل نجده بالرغم من الإشارات السابقة لا يتعدى فى نتائجه تلك التى وصل إليها المحدثون من ديكارت إلى برجسون ، وهى نتائج لا يظهر فيها بدقة كافية التميز بين الادراك الحسى والخيال ، مما يترتب عليه كما وضحنا ذلك فى مقال سابق أن تبقى مسألة الحقيقة الخارجية بين المسائل المتعذر حلها . ويخلص سارتر فى كتاب « الخيال » إلى أنه من الضرورى القيام بوصف جديد لفعل الخيال وموضوعاته ، يحاكى فى دقته وتفاصيله الوصف الذى قام به هوسرل للإدراك الحسى . هذا الوصف الجديد هو موضوع كتابه « الخيالى » الذى ظهر شهراً واحداً قبل الهدنة .

نلاحظ أن سارتر فى سبيل توضيح خصائص الخيال ، يعمل من ناحية على مقارنته بغيره من أفعال الشعور ، سواء ما كان بينها أدنى منه أو أسمى فى مراتب الحياة العقلية ، ويعمل من ناحية أخرى على تعيين الكيفية التى تمثل بها الموضوعات للخيال ، أو بتعبير آخر ، يعمل على وصف خروج فعل الخيال عن الذات ، واتصاله بالموضوعات ، وتأثيره فيها ، وتغييره من معالمها ، بحيث تصبح متميزة تميزاً تاما عن الموضوعات الخارجية المحسوسة بالمعنى الدقيق .

وقبل أن نتتبع سارتر فى وصفه هذا يحسن بنا أن نقول كلمة عامة عما يعنيه بالخيال وموضوعاته ، ولما كان لموقفه من الطرافة والجدة بالنسبة لمواقف الفلاسفة بهذا الصدد وعلماء النفس .

ثمة شبه إجماع عند الفلاسفة على اعتبار الخيال فعلاً تظهر فى الذهن بمقتضاه نسخ الموضوعات المحسوسة ، ثم ترجع هذه له مرات كما لو كانت ترجع للذهن الموضوعاتُ المحسوسةُ ذاتها . أما سارتر فيعارض هذا أشد المعارضة ، وهو فى معارضته قريب جداً من موقف شائع عند الناس وخاصة بين رجال الفن والنقد الفنى ، وهو أن الخيال يبعدنا أشد البعد عن الحقيقة الواقعية ، وأن موضوعاته غير موجودة على الاطلاق ، تصدر فى الذهن وحده ، عن قدرة الذهن ذاته ،

وإن كان لها من الخصائص ما يجعلها تحاكى موضوعات العالم ، ومن التأثير فى النفس ما يجعلها تفوق تأثير هذه الموضوعات فى النفس .

وإذا كان سارتر كما ذكرنا فى المقال السابق يعرِّف الخيال بأنه فعل يقصد الموضوعات المحسوسة من حيث إنها غائبة عنا ، فهو لا شك أقرب لهذا الموقف منه إلى موقف الفلاسفة ، ولا شك أنه يعنى بالخيال تحرراً من الواقع ، وبالخيالى موضوعا لا يختلف فى شىء عن موضوعات القصص والأحلام . ولكن لا شك أيضاً فى أنه يصل فى وصفه إلى نتائج إن كانت متنافرة مع مواقف الفلاسفة ، فهى بعيدة أيضاً عما يصل إليه أو يتصوره عامة الناس . والخيال مركب فى نظره من جملة عوامل تتحد فيما بينها على نحو غريب . ووصفُ سارتر لكل من هذه العوامل لا شك مبالغ فيه ، ولا يتفق تماما مع ما نشعر به فى حياتنا النفسية المعتادة . ويفترض الخيال موضوعات غريبة أيضاً . وأقل ما يمكن أن يقال عن الخيال أن له منطقاً غير منطق انفعالات الشعور التى نعرفها سواء كانت إدراكات حسية أو تصورات أو أحكاماً ، منطقاً يدخلنا فى عالم جديد غريب نعامل فيه الموضوعات معاملة غريبة شاذة ، بقدر ما كانت معاملتنا للأشياء الواقعية عادية خاضعة لمنطق هذه الموضوعات .

ولا شك أخيراً فى أن وصف سارتر إن كان غير متفق مع ما نعرفه فى أنفسنا أو عن الفلاسفة من الخيال ، فهو من ناحية وصف شائق له قيمته ، قيمة فنية أكثر منها علمية ، وله ما يبرره فلسفيًّا من ناحية أخرى ، من حيث إنه جزء لا يتجزأ من فلسفة لايعرض لها سارتر فى بحر « الخيالى » وإن كان يلمِّح لها تلميحاً فى صفحاته الأخيرة .

وسنعرض الآن بايجاز لمراحل وصفه هذا ، تاركين لفرصة أخرى التكلم عما يرتبط بهذا الوصف من النتائج الخاصة بطبيعة الفن أو بمشكلات الفلسفة العامة .

الخيال والمعرفة

من البديهى أنه لا يمكن لنا تخيل ما نجهله بالمرة ، بل لا بد من أن يكون لدينا عن موضوع ما ، علمٌ معين قبل أن يصبح موضوع خيالنا . ولكن لا بد

من ناحية أخرى أن يكون هـذا العلم بحيث نبنى عليه خيالا ، أو بتعبير آخر بحيث ينتقل الذهن فيه إلى مرحلة يصبح فيها خيالا أو على باب الخيال . وليس من الأمر الهين أن نلمس حالة مثل هذه ، حالةَ انتقال لا يكاد يقف عندها الذهن ولا يكاد يشعر بها ، ويعجز الوصف السيكولوجى عن البلوغ إليها . وربما كنا أسعد حظًّا لو عملنا على مقارنتها بما نعرفه عن أحوال أخرى تماثلها ، وهذا ما يقوم به سارتر فى هذا الصدد عند ما يقارن بين العلم الذى يسبق الخيال ويُعِدُّه ، وبين حالة من يطالع مثلا قصة جديدة ممتعة تملك مشاعره .

نجد أن ما يرويه لنا القصصى من الحوادث ، له علاقة وثيقة بعالم لا يصفه لنا مباشرة ، وإن كان يشير إليه إشارة مستمرة . ويُشْعِرنا المؤلف لا بما يحدث لشخصيات القصة فحسب بل بتطورهم فى عالمهم ، وما يعملون فيه من من الأحداث مما يسبب فى هذا العالم من تغييرات طفيفة أو جسيمة . زد على ذلك أن ألفاظ القصة وتعبيراتها تعنى فى الغالب حوادث واقعية لا ممكنات فحسب ، كما هو الأمر فعلا فى ألفاظ وعبارات منشور دورى وما شابه ذلك من الأوراق الرسمية : فلفظة «منزل» مثلا لها دلالة مختلفة إذا ذُكِرَت فى منشور لوزارة الداخلية خاص بأصحاب المنازل وحقوقهم وواجباتهم أمام القانون ، وإذا ذُكِرَتْ فى بحر القصة فى جملة مثل هذه « غادر المنزل فى الساعة العاشرة » . فالاسم يشير فى الحالة الأولى إلى علاقة أو علاقات كثيرة مختلفة ممكنة ، على حين ينطبق معنى الاسم فى الجملة الأخيرة على شىء واقعى ، وإن كنا عاجزين عن إدراكه أو تصوره . ثمة فارقٌ واضح إذن بين العلم الذى ينقل من الاسم إلى دلالته العامة ، والعلم الذى يعطى مباشرة للاسم دلالةً واقعية .

ثم نلاحظ عند قارئ القصة أنه غالباً لا يكتفى بدلالة الاسم ، حتى دلالته الشخصية الواقعية ، فنجد الاسم يمثل له شيئاً معيناً فى قيامه الوجودى . أعنى أنه يلتقى أثناء مطالعته ببعض عبارات تقوم دون غيرها لخاصة محسوسة جزئية . فمثلا عند ما يقرأ « امرأة جميلة » فكأنه يرى بالفعل امرأة جميلة ، وكأن الكلمة المطبوعة رسمٌ يدعو القارئ إلى توقع امرأة جميلة .

هذا شىء عن العلم الذى يسبق الخيال فى نظر سارتر ، أو بتعبير أدق الذى يُعِدّ الفكر فى نظره لتصور الموضوعات تصوراً خياليًّا . ولكنه ينبهنا إلى أن هذا العلم الكامن ، أو على حد تعبير أرسطو هذا العلم «بالقوة» ، ليس مانسميه

بالضبط خيالا ؛ إذ قلما تقوم فى ذهن المطالع المنتبه لقصة صورٌ خيالية على النحو المألوف ، ولا تطرأ له صور الخيال إلا فى الفترات القائمة بين مطالعات للقصة . أو عند من يطالع القصة بقليل اهتمام . وأغلب الأمر أننا إذا عمدنا أثناء مطالعتنا إلى تصور ما يحدثنا عنه القصصى تصوراً خياليا ، فلابد لنا من ترك الكتاب جانبا والاسترسال فى الخيال . أما الذى يطالع بانتباه فهو يعلم ما يقع من الحوادث علماً معيناً ، ويقف عند مرحلة معينة من هذا العلم ، ولو أنه قد ينبثق العالم عنده بعد ذلك فى صورة خيال رائع أو حلم بعيد القوة .

وما ذكرناه الآن عن مُطالع القصة ينطبق على حالات أخرى نعرفها ، مثل تلك التى تكون عند ما نطالع جريدة أو عند ما يقص علينا صديق حدثاً وقع له ، أو عند ما نفكر فيما يجب عمله لتأدية مهمة ما . وحياتنا العقلية والعملية تحمل ألوانا من هذا العلم الواقعى الذى يختلف كل الاختلاف عما نجده فى كتب الرياضيين أو الفيزيقيين من ناحية ، وفى منشورات الحكومة وقوانينها من ناحية أخرى . ولكن هذا العلم إن اختلف عن علم كله دلالات جبرية أو منطقية فلم يصبح بعدُ خيالا بالمعنى الدقيق ، بل نحن فيه كما يقول سارتر « على حافة الخيال » أو كما يقول سپاير Spaier فى « فجر الخيال » . ولابد إذن من عامل جديد ينتقل بنا إلى التصور الخيالى الصحيح .

العاطفة

ما العامل الجديد ؟ ما الحد الأوسط بين العلم والخيال ؟ يرى سارتر أن ما يجعل من موضوع معلوم فحسب موضوعا حاضراً للذهن بقوته وحيويته دون أن يكون محسوساً ، لهو عامل عاطفى . وليس بالأمر العجيب أن نقرر أن العاطفة تقوم بدور هام فى تصورات الذهن المختلفة وتكسبها حرارة ونشاطاً غير عاديين . ولكن يذهب سارتر إلى أبعد من ذلك فهو يفترض أن العاطفة ذاتها تصور ، لها ما للتصورات الذهنية المختلفة من الاتجاه نحو الموضوعات ومن التعلق بالموضوعات .

نظر علماء النفس حتى السنين الأولى من القرن العشرين إلى العاطفة على أنها هزة داخلية فحسب ، قد تنتابنا أحيانا تحت تأثير تصورات خارجية ، وتنتابنا

فى أغلب الأوقات تحت تأثير عوامل باطنية جسيمة أو غير جسيمة . العاطفة حال فردية داخلية ، إن دلت على شىء فعلى طبيعة الشخص لا على أى موضوع خارج عنه . وقد قامت الفلسفة الألمانية المعاصرة مع هوسرل وشيلر وغيرهما ضد هذا الرأى ، فاعتبرت أن العاطفة من حيث إنها مظهر من مظاهر الشعور تحمل ضرورةً ما للشعور من الخصائص الجوهرية ، أهمها أن كل شعور متعلق بموضوع ما ، وأن هذا التعلق ، أو هذا القصد intentionnalité يتغير حسب أفعال الشعور المختلفة . فالإدراك الحسى إدراك لموضوع محسوس ، والحكم متعلق بموضوع محكوم عليه ، والرغبة بمرغوب فيه ، والإرادة بمراد . ومن ثمَّ فالحب أيضا موجه إلى موضوع محبوب ، والبغض إلى شىء نبغضه . ولا ينحصر بحث الفيلسوف فى التمييز بين أفعال الشعور المختلفة ووصف ما تحمله من الخصائص الجوهرية ، بل عليه أن يصف مع فعل الشعور المقصود ، إدراكا حسيًا كان أو حكما ، كيفية اتجاهه نحو موضوعاته وخصائص موضوعاته من حيث تعلقها بالشعور ، أى كيف تمثل له وما يظهر له من خصائصها .

عُنِى سارتر بدراسة العاطفة على ضوء المبدأ السابق ، فخصص لها كُتَيِّبا[1] ظهر فى سنة ١٩٣٩ ، سنة واحدة قبل « الخيالى » ووضح فى البحثين أوجه العلاقة بين العاطفة وموضوعاتها ، وضرورة التمييز بين هذه العلاقة وبين المعرفة الجلية المتميزة للموضوعات . فالعاطفة تتطلب أن يمثل موضوعها لا من حيث إنه هذا الموضوع أو ذاك فحسب ، بل من حيث إن الموضوع يؤثر فى الشعور على نحو معين يجعله يحمِّل الموضوع ذاته ألواناً مختلفة من العاطفة يعبَّر عنها بألفاظ كالجميل أو الرشيق ، أو الجذاب أو المخيف . وتبدو لنا علاقة الخيال بالعاطفة وثيقة إذا نظرنا على ضوء ما ذكرناه الآن إلى بعض أحوال خاصة : قد نستيقظ فى الصباح وبنا حاجة قوية لشىء لا يمكن أن نقول ما هو بالضبط : هل هذه الحاجة جوع أم ظمأ أم رغبة فى رؤية شخص ؟ غير أن هذا العجز لا يمنعنا من توجيه ذهننا توجيها خاصا . وبينما نحن شاعرون أن ما نرمى إليه ليس أمامنا ولا يمكننا الحصول عليه بالفعل ، نجد أننا نعمل على الحصول عليه بطريقة أخرى تحاكى وتنافى فى الوقت ذاته طريقة الحصول على موضوعات

---

(١) *Esquisse d'une Théorie des Emotions.*

الحس الخارجية . يقوم إذن فى مثل هذه الرغبات مجهودٌ نحو الحصول على موضوع خارجى ، مجهودٌ يقوى ويشتد بقدر ما يضعف أملنا فى إدراكه على النحو الواجب ، أى فى إدراكه إدراكا حسيًّا ، ويتضمن إذن هذا المجهود لاستحضار الموضوع غياب الموضوع . وإن فكّرنا فيما عرّفنا به الخيال من أنه حضور موضوع مع غيابه وفى غيابه ، تحقّق لنا أن العاطفة من حيث ذاتها ومن حيث هذه القوة الداخلية التى تحملها وتجسمها وهى الرغبة ، هى دون شك عامل أساسى فى قيام خيال فى الذهن .

والأمر بديهى إذا فكرنا فى أن موضوعات الإدراك الحسى عند حضورها ، بالفعل أمامنا ، كثيراً ما تكتسب ألواناً عاطفية تبقى ملازمة لها فى الذهن بعد غيابها عن حواسنا ، حتى إن عودة العاطفة وحدها تبدو بشيرة بعودة الموضوع ، بل تحمل الموضوع ذاته دون أن يتبينه الشعور فى وضوح تام . وإذا كان رجوع العاطفة الأصلية على نحو لا يعوق انتباهنا لما فى النفس من أحوال ولما يظهر فيها من موضوعات ، انكشف لنا الموضوع الغائب ودخلنا من ثم فى مرحلة الخيال ، بالرغم من أن ما يحضر لنا من الموضوعات فى هذه الحالة ليس من الوضوح بحيث تتميز عناصره وتنفصل أجزاؤه أمام الذهن ، أو بحيث يتميز خيال معين عن غيره من الخيالات . وقد يبقى الكثيرون فى هذه المرحلة الخيالية تتحد فيها تصوراتهم بعواطفهم ، دون أن يشعروا بشبه ما بين موضوعات خيالهم وبين موضوعات العالم الواقعى التى تظهر لهم وللآخرين على حد سواء . ويقول ستندهال فى هذا المعنى : « أرى صوراً وأتذكر تأثيرها فى قلبى ، أما عن عللها وشكلها فلا أعرف شيئاً . أرى سلسلة من الصور دقيقة جدًّا ، ولكن لا شكل لها غير ما ظهر لى ، بل لست أرى هذا الشكل إلا عن طريق ما أحدثت ذكراه من الآثار فى نفسى . »

منطق الخيال

إن أعملنا التفكير فى الخيال وفى كيفية مثول موضوعاته فى الفكر ظهر كأنه يتضمن تناقضاً صريحاً : يبدو من ناحية أن موضوعاته لا تحمل إلا خصائص حسية ، ويتضح من ناحية أخرى أن ما نتخيله لا ندركه الآن بحواسنا . بديهى

أن موضوعاً ما إما حاضر أو غائب ، ولكن الموضوع الخيالى حاضر غائب ، ماثل أمام الذهن بالرغم من غيابه بل فى غيابه . إن أعملنا البحث فى معنى هذا التناقض وجدنا أنه يرجع إلى ما ذكرنا عن العاملين السابقين وإلى التفاوت القائم بينهما : عامل معرفة وعامل عاطفة ، ما يرمى إليه الذهن وهو على «حافة الخيال» ، ثم ما يحضر له بمقتضى الرغبة والعاطفة .

لنوضح ما نقوله هنا بمثالين أو ثلاثة : بناء « الپانتيون » لمن يدركه بالحس مركب من عدة أجزاء لا يمكن الإنسان أن يدركها دفعة واحدة ، وتتطلب لا لحظات زمنية مختلفة فحسب بل تعدداً لمواقف المتفرج بالنسبة للبناء . وللبناء خصائص حسية كاللون مثلا تتطلب هى أيضاً تعدداً لمواقف المدرك ، وتحمل فى ذاتها اختلافاً بحسب تغير موقفه : فمثلا إن كانت أعمدة مقدم البناء تبدو للداخل ذات لون رمادى قاتم فهى تظهر له من الخلف رمادية ضاربة إلى البياض وهكذا . . . أما ما يمثل للخيال من البناء فغير هذا كله . نعم أريد تصور البناء المذكور كما أدركتُ ، لكن شيئاً من تفاصيل ما أدركته لا يمثل لى فى الخيال . نعم ، قد أتصور مقدم البناء وأعمدته ، ولكنى لا أعرف عدد هذه ، ولا أستطيع تقدير المسافة بين كل منها والآخر ، بل لا أستطيع أن أؤكد أن بينها مسافة . أما عن اللون فهو رمادى متجانس لا أميز فيه بين لون الأعمدة من الأمام ولونها من الخلف . ثم لاتتطلب العناصر المذكورة أفعالا خيالية متميزة ، كما تطلبت فيما سبق إدراكات حسية مختلفة ، بل المقدم والأعمدة والبناء كله خارجه وداخله ، الخلف والجوانب ، كل هذا يظهر للذهن خالياً من التفاصيل ، فقيراً فى المميزات ، ولكنه يظهر دفعة واحدة وكُلاً متكاملاً .

أريد أن أتخيل صديقى فلان كما هو فى منزله الريفى ، ولكنى ألقاه فى ذهنى ، لا فى الريف ، ولا فى المدينة كما رأيته فيها منذ أسبوع ، ولا فى غرفته الخاصة ، إنما ألقاه جامعاً لما كان عليه فى الأمكنة الثلاثة ، حزيناً كما كان منذ أسبوع يتنزه فى حديقته الريفية ، وهو لابس رداءه الداخلى . هناك إذن بين ما أريد تصوره فى الخيال وبين ما أتصوره بالفعل تناقض يفسره التفاوت بين علمى بالموضوع قبل الخيال وحضور الموضوع فى الخيال .

وقد تذهب غرابة الخيال إلى أبعد من هذا ، فكثيراً ما نتخيل شخصاً لا نستطيع تعرفه مباشرة : هل هو الموظف الكبير الذى قابلناه أمس بمكتبه

لأول مرة ؟ أم هل هو رجل البوليس الذى أوقف سيارتنا فى الطريق ؟ ألاحظ بعد التفكير أن الموضوع الخيالى مزيج من الاثنين . وكثيراً ما نرغب تصور الأول فيتمثل لنا الثانى ، دون أن نرى لذلك سبباً ، وإن كان الأمر يرجع فى الحقيقة لعوامل عاطفية لا نتنبه لها فى حينها .

يتضح إذن من هذه الأمثلة ومن غيرها أن الخيال يجمع على نحو لا يفهمه العقل بين خصائص منفصلة فى الحس لا يمكن إدراكها دفعة واحدة . فإن نظرنا إلى قمع الخياطة استرعى نظرنا قطاع من جسمه الأسطوانى أو باطنه المقعر ، ولكن يتمثل القمع فى الخيال أسطوانيًا فى الظاهر والباطن ، عميق القاع فى الوقت نفسه .

ولكن بين ما يعرض له سارتر مثالان أو ثلاثة على الأقل يذهب به تحليله لها إلى مقارنة موضوعات الخيال بموضوعات الفكر البدائى الذى كان وما زال يؤمن بقوى سحرية قائمة فى العالم . ونكاد نلمس فى هذه الأمثلة أدلة قوية على أن العقل الإنسانى فى ناحية من نواحيه على الأقل لا يختلف عن العقل البدائى ولا يمتاز عليه . فإن كنا ننظر للوحة زيتية لصور شهير تمثل رجلا عاش منذ قرون ، فسيتجه ذهننا أحياناً من الصورة إلى أنموذجها الشخصى ، وقد ننسى إذ ذاك أن هذا الوجه وتقاسيمه وما ينبعث منها من قوة عجيبة ، وأن هاتين العينين اللتين تصوبان لنا نظرة حادة ، قد ننسى أن كل هذا يخص جسما قد وورى التراب منذ أمد بعيد ، فيبدو لنا أن أنموذج الصورة أمامنا رجل « يَزُورُ » صورته ويملؤها حيوية . ويذكرنا هذا الموقف بما كان يعمله أعداء المسيحية ، فى القرون الأولى من انتشارها ، من ضروب الشعوذة سواء بتدنيس الصور المقدسة أو بتكسير الأصنام ، ويذكرنا أيضاً بما يقوم به بعض قبائل الهنود الأمريكيين فى سبيل نجاح الصيد من أعمال غريبة كوخز صور الحيوانات المتوحشة على جدران أكواخهم .

ويحدثنا سارتر عن مسرح فى باريس يظهر فيه مقلد عجيب للمغنى والمهرج الفرنسى الشهير موريس شڤالييه يخيل للمتفرجين عند رؤيته أنهم أمام شڤالييه ذاته ، كأنه يستحضر شڤالييه ، كما يستحضر السحرة أرواح الغائبين ، وكما لو كانت شخصية شڤالييه قد « زارت » المقلد دقائق قليلة . موقف غريب للخيال لا يختلف كثيراً عن موقف البدائى الذى يعمد فى بعض الحفلات إلى ضروب عدة من التقليد ، بغية أن يستحضر أرواح حماة القبيلة .

هذا شيء من طرائف الخيال يدلنا على أنه يختلف اختلافاً واضحاً عن أفعال الشعور الأخرى وعن الإدراك الحسى والتصورات العقلية ، له منطقه ، منطق أشبه بقواعد السحر والشعوذة منه بقواعد المنطق الذى يخضع له العقل السليم ، وبقواعد المنطق الواقعى الذى تخضع له موضوعات الإدراك الحسى . إن فعل الخيال على قول سارتر « رُقية ينـادى بها الذهن موضوعاته فتنقاد له كما تنقاد الصبية لـعَبـُها . »

نجيب بلدى